# محمد سيد ياسين ملك الزجاج فى مصر

د. أحمد الغريب

مركز تاريخ مصر

شَهد النصف الأول من القرن العشرين بروز العديد من الشخصيات التى شكلت وأثرت فى النظام السياسى والاقتصادى والإجتماعى والرياضى لمصر، واستطاعوا أن يغيروا من الواقع المرير والمظلم، وأن ينقلوا الحياة من الظلام إلى النور، فأوجدوا تغيراً عميقاً، وبعد ذلك اندثروا تحت التراب، ولم يتبقى إلا أعمالهم ذكرى بين الناس، وحان الوقت لكى تخرج تلك الأعمال إلى النور، ومن أهم تلك الشخصيات يأتى دور محمد سيد ياسين الملقب (بملك الزجاج فى مصر) فى الحياة المصرية بالقرن العشرين، ولذا ينبغى علينا جميعاً أن نلقى نظرة عميقة على خطوات خطواته الأولى لكى نتناول مولده ونشأته الأولى لكى نستطيع أن ندرك حقيقة الدور الذى قام به فى الاقتصادى المصرى بصفة خاصة، والحياة المصرية بصفة عامة.

ولدَ محمد سيد محمد ياسين فى نوفمبر عام ١٨٩٣[١]فى مدينة الإسكندرية[٢]، ويرجع جذور العائلة إلى صعيد مصر[٣]، وتفتحت الطفل عيناه على اسرة تعمل فى مجال الأعمال[٤]، فينتمى الوالد إلى أسرة تجارية منذ قديم الأزل على حد تعبيره، فوالده سيد بك محمد ياسين يمارس الأعمال الحرة إذ كان يُعد مقاولاً من كبار المقاولين فى مصر[٥]، وكان يتعهد إليه بعمليات تقوية وتكسية جسور النيل إلى مقاولات عامة آخرى[٦]، وكان له رفاصات فى النيل يقوم باستغلالها وتشغيلها[٧].

وقد أهتم أبويه بتربيته فأرسلوه إلى الكُتاب لتعلم بدائيات القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وكان لهُ ما أراد فاستطاع حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وكان أشطر تلاميذ الكُتاب وأنشطهم[٨]، وبعد الانتهاء من مرحلة الكُتاب عام ١٨٩٥ أرسله والده بعد ذلك إلى مدرسة

الرمل الابتدائية، واجتاز تلك المرحلة بنجاح[٩]، وفى تلك الأثناء أيقن والده ضرورة إكمال دراسته، ولذلك دخل محمد ياسين المدرسة الثانوية عام ١٩٠٥[١٠].

تميز محمد سيد ياسين فى تلك المرحلة بأنه كان طالباً مجتهداً ونابغاً بالإضافة إلى حبة الشديد للرياضة[١١].

وبعد الانتهاء من الدراسة بدأ محمد ياسين قصة الكفاح فتحمل مسئولية العمل مع والده لكى يشْدُدْ بِهِ أَزْرِه، وَيشْرِكْهُ فِي أَمْرِه، وهو لايزال صبياً فى السادسة عشر من عمره عام ١٩٠٩[١٢]، ومن خلال ممارسة العمل ورث عن ابيه العمل فى عدة مجالات باعتباره إرثا لا يُمحى، وجزء من الحمض النووي"DNA" لأبيه، حيث بدأ الأب سيد ياسين يعمل بمجال المقاولات، وقد تخصص في تجليد وتكسية جوانب نهر النيل على طول القاهرة بالحجارة [١٣]، وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤_ ١٩١٨ أوزارها كانت مصر محتلة فى ذلك الوقت، وتقع تحت سطوة الاحتلال الانجليزي، فترك الأب والابن مجال المقاولات، واتجهوا لمجال جديد، وهو تصنيع المنتجات الجلدية، والأحزمة، والألشين للجنود، والضباط الانجليزى، وصناعة السروج لخيولهم، وأغطية الأحذية الجلدية، وبعض المصنوعات الجلدية، وكان يقوم بتوريدها للجيش الانجليزى مما ساعده في تلك الآونة على إنشاء ورشة لصناعة الاحزمة الصغيرة بوكالة البلح ببولاق، ونظراً لظروف الحرب العالمية الأولى توقف استيراد الجلود، وبالتالى توقف عمله[١٤]، وكان الأب سيد ياسين مهتم بالعمل فعرض عليه الضابط المسؤل عن المهمات فى الجيش الإنجليزى أن يختار ما يشاء من مخلفات الجيش التى سوف تباع فى المزاد العلنى، فسافر إلى الإسماعيلية، ودخل مزاد كان يعرض فيه بيع مركبات من مخلفات الحرب في مدينة فايد، وكانت معظم هذه المركبات من التي كانت تستخدم لنقل الجنود ونقل المهمات، وهي عبارة عن ١٢ لورى وموتوسيكلات، وتقدم سيد ياسين بعرض شراء لتلك الهياكل مقابل ١٠ جنيهات لكل هيكل، وعندما رسي المزاد عليه قام بنقلها إلى القاهرة ثم قام بتصليحها لإمكانية تشغيلها مرة آخرى , وتأتي ثورة ١٩١٩ فكان يستعمل تلك اللوريات فى نقل العمال نظراً لارتباك المواصلات[١٥]، ومع انتهاء الثورة عاد إلى عمله القديم بعد أن حصل على مقاولة كبيرة لتكسية شاطئ نهر النيل لذلك

استخدام اللوريات في نقل الأحجار من منطقة جبل المقطم لتعبيد مجرى نهر النيل، ومساعدة الفلاحين فى نقل المحاصيل على المراكب الشراعية [١٦]، وفي خضم هذه النجاحات تعلم الابن أصول التجارة والتعاملات التجارية من والده، وتعلم منه أيضا أن رأس المال لا يتنافى مع الجانب الإنساني حيث كان يشاهد الأب يُقبل أن يضمن أصدقاءه في مبالغ مالية كبيرة لدى التجار، وكان هذا الأمر نقطة تحول في مسيرة حياة الإبن محمد سيد ياسين بعد أن انقطع الداعم والسند للأبن فمات الأب عام ١٩٢٠ [١٧]، وترك لابنه التجارة والمقاولات ومعهما الديون التى بلغ قدرها ٣٠ ألف جنيه كانت كلها ديون "شرف" أي ضمانات لأصدقاء تحصلوا علي هذه الأموال بضمان والده، وتهربوا من دفع هذه الإلتزامات، وكان هذا المبلغ باهظ بمقاييس السنوات الأولي من القرن العشرين [١٨]، ولكن الإبن محمد سيد ياسين أصر علي سداد تلك الديون خوفاً أن يقال أن أحد افراد الاسرة لم يسدد ديون العائلة، ومن أجل هذا ظل محمد ياسين حتى سدد كل الاموال إلى التجار[١٩]، ونجح فى إنهاء هذه المشكلة[٢٠].

كانت تلك التجربة فى ذلك الوقت تُعد من الصعوبات الكبيرة نظراً لأن الاحتلال الإنجليزى مجرد دخولهم مصر تعمد القضاء على الصناعة المصرية عمداً تلك التى اقامها محمد على باشا وخلفاؤه[٢١]، والدليل على ذلك ما قاله اللورد كرومر Cromer (١٨٨٢_١٩٠٦) الذى كتب فى تقريره إلى حكومة لندن عن الوضع الاقتصادى فى مصر : ( لقد اختفت الصناعات الوطنية من الاسواق، ولم يعد موجوداً إلا السلع الاجنبية )، وهكذا ظلوا يحاربون دخول المصريين عالم الصناعة أو البنوك أو الشركات الوطنية المصرية[٢٢].

جاءت بدايات محمد ياسين فى طريق النجاح الاقتصادى عندما ضاق به الحال فى مدينة الإسكندرية فشَدَّ الرحال إلى مدينة القاهرة من أجل الاستقرار بها، فوضع قدميه فى محطة قطار القاهرة قادماً من مدينة الأجداد والأباء يحمل حقيبة ثقيلة بها متعلقاته فى فبراير عام ١٩٢١، وفى تلك الاثناء كانت تلك الليلة شديدة المطر، وقف محمد سيد ياسين بجانب حقيبته الثقيلة يتأمل العاصمة الغارقة في المطر والكتل الطينية، وخرج إلى الميدان[٢٣]، ليجد قد اضربوا عمال الترام عن العمل، وكانت السيارات متوقفة على جانبى الطريق، واستغل سائقو الحناطير سوء

الأحوال الجوية فضاعفوا الأجرة، واضطر الرجل إلي إستئجار عربة حنطور، وكانت تلك الوسيلة الشعبية للنقل فى مصر فى تلك الفترة، والسائق من طلب سبعة أضعاف الأجرة المستحقة [٢٤].

ومن هنا بدأ محمد ياسين يفكر فى الطبقة العادية الكادحة من الشعب كيف يكون حالهم فى أيام الإضراب، وبدأ يفكر فى تسيير سيارات الاتوبيس، فكانت كل القرارات التي أعقبت الليلة المطيرة من إضراب واستغلال للوضع بمثابة تحفيز لـ"ياسين" لابتكار فكرة مختلفة في هذه الليلة فقرر أن يدخل خط نقل داخلي في القاهرة لمواجهة جشع الحناطير والإضرابات [٢٥].

بدأ محمد ياسين يحبو خطواته الأولى فى تنفيذ مشروعه لكى يبني مستقبله معتمداً على الله قبل كل شئ، ومحملاً بإيمانه العميق برفعة بلاده مهما بذل المستعمرون من جهد لوقف عجلة التصنيع التى كان أول من اشترك فى إدارتها، ومن منطلق هذا الطموح استخدم فى البداية عربات اللورى التى تركها له والده، ونظراً لتلك التجربة الفريدة، قام بتحويلها إلى أوتوبيس فى إحدى الورش المحلية، فَأَخَذَ تلك اللوريات إلى ورشة الأسطى جاد فى منطقة بولاق الذى قام بتركيب لها هيكلاً يشبه هيكل الأوتوبيس[٢٦]، واستعان بأثنين من النجارين، وركب معهم الترام، وطلب منهم أن يصنعوا فوق هياكل سيارات النقل '' دكك خشبية '' بمساند للجلوس عليها كما فى الترام، وتحولت سيارات اللورى الى أتوبيسات مفتوحة من الجانبين، ويتم الصعود إليها بواسطة سلم ثم أضاف إليها جوانب من الصفيح، وبالتالى أصبحت السيارة تشبه الترام البلجيكى[٢٧]، وبذلك يكون سيد ياسين أول من أنشأ اتوبيس لنقل الركاب فى مصر دون أن يراه احد من قبل، وأصبحت القاهرة تحذو حذو انجلترا التي كانت تستخدم بعدها الأوتوبيس، وذهب إلى مبنى محافظة القاهرة يطلب ترخيصاً لتلك السيارات، وتفاجئ بوقوف الضابط الاجنبى المسئول عن الترخيص حائط مانع له فى قلم المرور بحجة انها لا تشبه الطراز الانجليزي فأخبرهم محمد ياسين أنه قام بتصميمها على الطراز البلجيكي، الذى تم رفضه ولكنه لم ييأس، وبعدها قام بتصميم الاوتوبيس على غرار الأوتوبيس الإنجليزي، والذي يتميز بأن له باب للصعود، وباب للنزول، وله نوافذ تغطيها الستائر[٢٨]، وذهب مرة آخرى فاعترضوا بحجة أن شوارع القاهرة لن تتحمل ثقل الاختراع الجديد الذى ابتكره ياسين، فصبراً جميل والله المستعان، ولكن محمد ياسين

لم يعترف باليأس قائلاً ( أن الأوتوبيسات الخاصة بي أخف وزناً من اللوريات الإنجليزية التى تمتلئ بها شوارع القاهرة ).

وفى النهاية انتصر محمد ياسين فى معركته ضد الاحتلال فى ترخيص الأوتوبيسات[٢٩]، وأصبح يمتلك أسطول من الأوتوبيسات، وأطلق عليه "اوتوبيس ياسين" ، وبدأ المشروع يتحرك وينطلق فى شوارع القاهرة، بعدد ٢٢ أتوبيساً [٣٠]، وسيرها في خط جديد، ومضت ٤٤ يوماً، والشئ المدهش لم يركبها شخص واحد لأن الناس دومًا يخشون الجديد فاعتبروا تلك المخلوقات التي تسير في الشوارع أسرع من الترام والحناطير، وسيلة للإنتحار، ومن شأنها أن تعرضهم لمخاطر جسيمة فهجروها، خوفا من سرعة الأتوبيس، رغم أن سرعتها لا تتعدى ٢٠ كيلومترا فى الساعة فهى تختلف بالطبع عن عربيات الكارو أو الحنطور فكانت الأوتوبيسات تخرج كل يوم من الجراجات، وتعود فارغة، وبلغت الخسارة مئات الجنيهات[٣١] مما جعلته عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ الخسارة، ومع ذلك كان محمد ياسين مصراً على تسير الأوتوبيسات في مواعيدها المحددة، واستمر هذا الوضع لمدة شهر ونصف تقريبا لم يصعد خلالها راكب واحد إلى متن أى من الأتوبيسات التي أعدها محمد سيد ياسين، واقْتَرَح عليه كثيرون أن يغلق باب الخسارة، ولكنه كان صبورا ومثابرا، وذو إرادة فولاذية، وطلب من سائقي الأتوبيسات أن يتحركوا طوال اليوم في الشوارع حتى يألفها عامة الناس، وينسوا خوفهم منها[٣٢]، وفي أحد الأيام صعد شخص واحد ركب أحد هذه الأوتوبيسات، وعندما عاد بالسلامة إلى المقهى الذى إعتاد الجلوس عليه أخبر رواد المقهي بما فعل ورأه، وكانت هذه هي نقطة التحول حيث بعدها نجح المشروع نجاحا باهرا، وحقق مكاسب خيالية، وبدأت التجربة تأتي ثمارها بربح قدره ١٢٠ جنيهًا في الشهر[٣٣]، لأن محمد ياسين كان بداخله يقين أن الثقة من الشعب سوف تأتي، وصدقت توقعاته.

ومع مرور الوقت اعتاد المصريون على ركوب الحافلة التي تسير في شوارع القاهرة، وبعد فترة استطاع أن يحقق النجاح، وتراكمت الأرباح، وزاد من عدد الأوتوبيسات حتى بلغت مائة أتوبيس عام ١٩٣٠[٣٤] وكان محمد ياسين يمتلك فى ذلك الوقت ثلاث جراجات بالقاهرة، الأول بمنطقة الحسين، والثاني بمنطقة المقطم، والثالث بمنطقة الحلمية الجديدة [٣٥]، وبالتالى أصبح محمد ياسين أول من سير خطوطاً للنقل العام فى القاهرة[٣٦]، وكان مشروع ياسين خطيرًا رغم

بساطة الفكرة، ولقد استطاع شاب مصري أن يثبت قدرة المصريين على الإبداع والتطور، وأن الأمر ليس حكرًا على البريطانيين فقط.

انزعج أصحاب المصلحة من رحلة صعوده، ورغم نجاح المشروع قررت الحكومة أن توقفه وتسحب جكميع رخص الأوتوبيسات منه، وتمنحها إلى شركة إنجليزية مرة آخرى، ناهيك عن عدم صرف أي تعويضات ، قام محمد ياسين باللجوء إلى كبار المحامين لرفع قضية تعويضات على الحكومة المصرية بقيمة ١٥٠ ألف جنية، وقالوا له بعض المحامين ( أنك سوف تكسب القضية لكن بعد ١٠ أعوام، وخيروه بين الحصول على مبلغ قدره ١٦ ألف جنية فوراً من الحكومة أو الإنتظار ١٠ أعوام لكى تحصل على مبلغ قدره ١٥٠ ألف جنية ) [٣٧]، بعد ذلك حاول رئيس الوزراء إسماعيل صدقي باشا التفاوض معه لكى يمنحه مبلغ قدره ١٦ ألف جنيه مقابل السيارات والجراجات التي يملكها، وتم إقناعه بالموافقة، فأختار محمد ياسين الحصول على المبلغ المذكور، ونصحه أصدقاؤه أن يشتري بحصيلة هذا المبلغ عمارة سكنية كبيرة فيصير من ذوى الأملاك أو أن يشتري عدة افدنة يقوم بزراعتها، والاستفادة من محصولها فيصير من ذوي الأطيان، لكن كونه عاشق للصناعة، وسليل عائلة صناعية رفض هاتين الوسيلتين من اجل الاستثمار والتجارة[٣٨].

وبعد ذلك ساقه القدر مع صديقه الدكتور فريد محمد، وكان كيميائيا بارعاً، والدكتور محمود صالح الفلكى من كبار موظفى مصلحة التجارة والصناعة، فصحبوه معهم في زيارة لمنطقة الأهرامات وأبي الهول، وطرح عليه سؤالا قائلاً له ماذا ترى أمامك؟ فقال ياسين له لا أرى إلا رمال، وقال الدكتور فريد محمد له هذه ثروة بلا رأس مال، بعد ذلك ذهبوا سوياً في رحلة إلى ألمانيا، وهناك قاموا بزيارة عدة مصانع لإنتاج الزجاج، وقد بهر محمد ياسين بهذه الصناعة، وعرف أن الرمال هي المادة الأساسية في هذه الصناعة، وعرف أن أنقى أنواع الرمال الرمل الفرنسي والهولندي[٣٩]، وعندما زار صحراء سيناء فيما بعد أدرك أن رمالها تضاهي أجود رمال العالم بنسبة أكبر من ٩٠٪، وتأمل لمبة الجاز في غرفة منزله، والتي كانت هي الوسيلة السائدة للإضاءة في ذلك الوقت فوجد أنها مصنوعة في بلجيكا، وهنا تساءل بينه وبين نفسه كم لمبة جاز مستوردة في بيوت مصر؟[٤٠]، فنجد كما وجد تقرير صادر عن الحكومة المصرية في مطلع عام ١٩٢٨ يفيد

بأن مصر تستورد من الخارج جميع ما تحتاج إليه من زجاج لزوم النوافذ والأبواب والمرايا والقنائي وغير ذلك من أشياء مصنوعة من الزجاج أو البللور، وبالتالي لم يكن في مصر كلها مصنع واحد للزجاج، وبناء على ذلك اتخذ قراره بأن يعيد إلى مصر تلك الصناعة الفريدة، هي بشهادة كل كتب التاريخ هى من إختراعها، وقد صدرتها إلى العالم، واقتنع محمد ياسين بذلك المجال، ودخل مجال صناعة الزجاج بقوة، وساهم في هذه الصناعة الوطنية، وهكذا أصبح مبلغ ١٦ ألف جنية نواة لمصانع ياسين للزجاج فيما بعد(٤١)، وبأموال التعويض التى حصل عليها من الحكومة المصرية، ومضافاً إليها ما ادخره من أرباح فى سنوات عمله السابقة انتقل محمد ياسين من مجال النقل الداخلى بالأوتوبيس فى القاهرة إلى ساحة التى كان للمصريين فيها فضل الريادة والسبق خلال العصور التاريخية القديمة ثم تدهور الحال حتى تحول الأمر إلى مايشبه الذكرى الباهتة قبل أن يعصف الاحتلال الإنجليزى بالبقية من آثار الصناعة المصرية(٤٢).

أن الاقدار كانت تُعد محمد ياسين ليكون الرائد الأول لصناعة الزجاج فى المستقبل بعد أن ترك مشروعه الأول فى مجال النقل مجبراً وقهراً، والانتقال إلى مجال جديد وأكثر حيوية فى مجال صناعة الزجاج، على الرغم أن صناعة الزجاج في مصر انذثرت بعد أن ساهمت لسنوات في تزيين الحضارة الإسلامية بكل مصباح ومشكاة أنارت مسجدا كبيرا فى بداية العشرينيات كانت كل المنتجات الزجاجية الموجودة فى مصر مستوردة، وعلى رأسها لمبة الجاز، ولو علم المستعمرون فى ذلك الوقت مدى الفائدة التى ستعود على البلاد من هذا المشروع الحيوى لتركوا مشروع اوتوبيس ياسين وشأنه حتى لا يفكر فى إنشاء مصنع الزجاج الذى يعتبر فخر للصناعة المصرية(٤٣).

ومن أجل تحقيق هذا الحلم انطلق الرجل الطموح إلى ألمانيا مرة آخرى، ومنها إلى عدة دول مجاورة في زيارات لمصانع الزجاج بها، وتمكن من الحصول على ما يكفيه من خبرة للإنطلاق في هذا المجال بعد أن تأمل ودرس العملية الإنتاجية بالكامل، وما الذى يحتاج إليه من آلات(٤٤)، وعاد محمد ياسين محملاً بالعلم الوفير، وبعدد من خبراء الصناعة الأجانب، وقرر أن يقتحم السوق من النقطة التي تجعله صاحب نصيب مهم وعظيم فيها، فقام بتأجير قطعة أرض صغيرة فى شبرا، وقام بشراء آلات صغيرة، وتخصص في البداية فى صنع بلورة لمبة الجاز(٤٥)، وشق طريقه بصعوبة وسط أباطرة الاستيراد الذين كانوا يقفون بضراوة في وجه أي صناعة وطنية، وعلى مدار

ثلاث سنوات كان يخسر كثير من المال لأن العمال المصريين لم يتقنوا مهارة الصنعة بعد، وعندما أتقنوها كان بحاجة إلى إقناع المصريين، وأغلب بيوتهم تعتمد على اللمبة الجاز بتشجيع المنتج الوطنى فكان النجاح بطيئا لكن بعد مثابرة وعزيمة هذا الرجل العظيم استطاع أن يجد لنفسه مكانا في السوق ثم رأى أن الوقت قد أصبح مناسبا ليصبح مشروعه أكبر وأوسع نشاطا فقام بإختيار قطعة أرض اخرى في شبرا الخيمة على مساحة فدان ونصف(٤٦).

أراد الشاب الطموح تصميم مصنعه الكبير الذى يحلم به فى عام ١٩٣١(٤٧)، ثم حسب حسبته فوجد أنه بحاجة إلى مبلغ قدره ٨٠ ألف جنيه، ورفضت جميع البنوك العاملة في مصر آنذاك أن تضع يدها في يد محمد ياسين الذى باع أرضه وأتوبيسات النقل التي كان يمتلكها، وجميع ممتلكاته من أجل إنشاء وتأسيس مصنع زجاج حتى أنهم وصفوه بالجنون(٤٨)، ولكن بنك مصر الذى كان علي رأسه رجل عظيم آخر من رجال مصر، وهو الاقتصادى الكبير طلعت حرب باشا قرر أن يقرضه ما يحتاج إليه من مال(٤٩)، وتعجب مديرو البنوك الآخرى، وسألوه كيف تفعل ذلك مع هذا الشاب، فقال طلعت حرب باشا للأسباب نفسها التي رفضتم من أجلها إقراضه فهذا الرجل باع كل ما يملك من أجل مشروع صناعي تحتاجه مصر، ولست أدرى كيف تبدأ الصناعة إلا بمجازفة مدروسة(٥٠)، ولم يكتف طلعت حرب باشا بالموافقة علي القرض فقط بل استمر في مراقبة المشروع ومتابعته وتشجيعه من بعيد، لقد كان لمحمد ياسين زميلان فدعاهما طلعت حرب للمقابلة سراً، وقال لهما أنه لا يريد أن يتدخل فى أعمال المصنع، ولكنه يجب أن يطمئن على القرض الذى تحصل عليه محمد ياسين من بنك مصر، وطلب طلعت حرب منهم أن يتقدموا إليه كل أسبوع بدعوة لزيارة المصنع، وأن يلحا عليه فى الرجاء حتى الموافقة، وهذا حتى لايحرج إحساس الرجل أو يخيفه منه، وفعلا تمت المسرحية، ودعوا طلعت حرب، ووافق بعد أن رفض فى بادئ الأمر، وواظب على الزيارة ناصحاً ودارساً ومشرفاً على صناعة الزجاج، فرحم الله الرجلين (٥١) .

وفي غضون أعوام قليلة نَهَضَ وتَرَعْرَعَ مصنع ياسين للزجاج، واصبحت منتجاته في كل بيوت مصر على اختلاف مستوياتها، وكان انتاج المصنع يتمثل في انتاج أكواب

الشرب، وأكواب الشاي، ولمبات الإنارة بالجاز، وهما مقاسان نمرة ٥ ونمرة ١٠[٥٢]، وأضاء سيد ياسين جميع محافظات مصر بلمبات الجاز قبل تعميم انتشار الإضاءة بالكهرباء حتى لقب بين أطياف الشعب بـ أديسون مصر[٥٣]، كذلك انتج الزجاج الأبيض الشفاف لنوافذ المنازل، وأنتج زجاج السيارات، وكان سعر زجاج لمبة الجاز ثلاثة مليمات[٥٤]، وكان المصنع يورد احتياجات المستشفيات المصرية، ومعسكرات الجيش الإنجليزى، وكان ينفرد بانتاج زجاجات شفافة لجمع تبرعات الدم لأنه لم يكن وقتها قد اكتشفت الأكياس البلاستيك[٥٥].

ومن الجميل أن الزعيم الانجليزي ونستون تشرشل W. Churchill شرب المياه في كأس زجاجي من انتاج مصانع ياسين عندما كان يقيم بفندق سيسل بالإسكندرية أثناء فترة الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١[٥٦]، وكذلك كان المصنع ينتج طفايات السجائر، وأطقم الشربات، وقتها لم يكن هناك منافسة تزاحمه، وكان هناك انْتِماء من الشعب للمنتج الوطنى، وعدم التحكم بالأسعار أو فرض سياسة الاحتكار، وطور محمد ياسين من انتاجه للزجاج الملون منها الأخضر والعسلي والأحمر، وكان يصنع برطمانات المخللات[٥٧]، وكان المصنع خلية من النحل به حوالي ١٨٠٠ عامل[٥٨]، وكان ينتج بواقع السجلات يوميا ثمانون طن من الزجاج المصنع حتى انتشرت المقولة المهمة فى الصحف ( انه ما من بيت بمصر إلا وبه منتج من مصانع زجاج ياسين ) [٥٩]، وكان ذروة العصر الذهبي للمصنع فى مطلع ثورة يوليو عام ١٩٥٢، وكذلك كان يصنع زجاجات المياه الغازية، وزجاجات الدواء، وصناعة الدواء لم تكن متقدمة فى ذلك الوقت[٦٠]، وكان المصنع يعتبر صرحاً من صروح الصناعة يقوم بزيارته أفواج من طلبة المدارس ليتعرفوا على تلك الصناعة الوطنية، والتي تعتبر فخر للإنتاج المصري[٦١]، وبعد أن أرست صناعة الزجاج قواعدها جنح إلى صناعة جديدة حاول ان يكون رائد لها، وهي صناعة قطع الأدوات الصحية من أحواض، ومراحيض، وقيشاني بمصر وبالعالم العربي وأفريقيا[٦٢].

بما أن طول العمر يبلغ الانسان أمله، فهل يطول العمر لمحمد ياسين حتى يتحقق الأمال المنشودة؟ وبالفعل تحول مصنعه إلى مؤسسة صناعية واقتصاديه واجتماعية كبرى، فبلغت مساحته حوالي ٦٤ ألف متر مربع، وأصبحت مصانع ياسين للزجاج هي الأشهر في مصر وخارج مصر أيضاً، وتتمتع المصنع بسمعة عالية في تصنيع الزجاج حتى أنه أطلق عليه أكاديمية صناعة

الزجاج في مصر، كما تحولت مصانعه لواحدة من أهم مرتكزات الصناعة الوطنية المصرية[٦٣]، وبالإضافة إلي المصانع تم اختيار قطعة أرض تقع بجوار المصانع مطلة على نهر النيل أنشيء عليها نادى ضخم يضم ملاعب، وحمام سباحة، ومسرح للعمال[٦٤]، وفي البداية كان يعمل في المصنع أكثر من ١٥٠ مهندس ألماني وتشيكوسلوفاكي، وبلا شك هؤلاء قد ساهموا في تطوير صناعة الزجاج، ورفعوا مستوى العمالة المصرية قبل أن يعودوا إلى بلادهم، وفي صحبتهم عمال مصريون لكي يقوموا بتدريب العمال الألمان والتشيك، ومن ثم عادت صناعة الزجاج إلى مصر كما بدأت قبل قرون[٦٥]، وكان أطقم ياسين تُعد أول قطع في جهاز كل عروس مصرية سواء طقم المشروبات المرشوش بالرمل الملون أو طقم القهوة المطلى بخطوط ماء الذهب، وأما لمبة جاز ياسين فقد كانت شريكة كل بيوت مصر سواء في القرى أو المدن في لحظات الونس[٦٦].

محمد سيد ياسين تزوج فى عام ١٩٣٥، وأَنْجَب خمسة من الأبناء وهم سيد وحسن وممدوح وهدى وعاصم، وكان من الطبيعى أن يساعد الأبن الاكبر سيد لوالده فى إدارة مصنع الزجاج[٦٧].

فى حقيقة الأمر لم تكن مملكة محمد سيد ياسين الاقتصادية تكونت بمحض الصدفة لكن جاءت نتيجة بعض الصفات التى تميز بها، والعمل الشاق، والطموح، وقوة الشخصية، والاستقامة فى العمل، وكان يستهدف النجاح فى أى عمل يقوم به، واخيراً التوكل على الله، لان كان لديه قناعة ومبدأ بذلك [٦٨]، وكان دائم القول ( اتخذت لنفسي هدفاً هو أن تكون جميع أعمالي ذات نفع عام لا أقصد منها الربح الشخصي بل غرضي الأول خدمة وطني، وأن يكون العمل الذى أقوم به أكثر نفع للوطن، وكنت دائم البحث عن المشروعات التى لم يسبق لغيري أن فكر فيها لذلك سعيت بكل قوة فى إنشاء صناعة لا مثيل لها فى البلاد ) [٦٩]، فكان يعطى كل وقته للعمل فساعات نومه لاتزيد عن ساعات قليلة فى اليوم، واتَّسَمَ محمد ياسين بحُسن الخُلقُ يرجع ذلك إلى حفظ اجزاء من القرءان الكريم فكان يرتله آناء الليل وأطراف النهار، ولذلك تميز ببعض الصفات منها التواضع بين العمال واطياف الشعب، وكان يثنى عليه كل فرد عند مقابلته فى المنزل من كرم الضيافة وتواضعه الشديد، وكان يتسم بالذكاء الحاد رغم تقدم عمره، وكان

شديد الاحترام للبشر مهما كان صفتهم وعملهم، ولذلك لم يكن طريقه معبداً أو مفروشاً بالورود فهو لم يُولَدُ فى فمه معلقة من الذهب إنما كون ثروته بكفاحه، وبنى نفسه بعمله وجهده، واسْتغلَّ الظروف المحيطة من أجل الوصول إلى قمة الهرم الاقتصادى، فكان يتفاخر دائماً للجميع بقوله ( أنا بدأت حياتي من الصفر، وهى ليست صعبة كما يتصور بعض الشباب، والصعوبة أن تبدأ أقل من الصفر )[٧٠].

نتيجة تلك الصفات الحسنة، وقف الله عز وجل بجوار المجتهد محمد ياسين، وكان محمد ياسين يصرح أكثر من مرة عن مقوله شهيرة معتمد عليها فى حياته قائلاً (من اعتمد علي ماله قل، ومن اعتمد علي سلطانه ذل، ومن اعتمد علي عقله اختل، ومن اعتمد علي علمه ضل، ومن اعتمد علي الناس مل، ومن اعتمد علي الله فلا قل ولا ذل ولا اختل ولا ضل ولا مل)، ولم يكن هدفه جمع المال فقط إنما النجاح الكامل للمنظومة نتيجة ذلك أصبح رئيس وعضو مجلس إدارة فى العديد من الشركات المساهمة المصرية، وعضو مجلس إدارة فى البنوك المصرية على النحو الآتى:

الشركة الاهلية للزجاج ( مصانع ياسين للزجاج ) [٧١]، والشركة العامة للخزف والصينى[٧٢]، وشركة طنطا لتعبئة الزجاج[٧٣]، شركة اسيوط لتعبئة الزجاجات[٧٤]، وشركة الأعمال والمباحث الإفريقية[٧٥]، وشركة بنك القاهرة[٧٦]، وشركة القاهرة للتأمين[٧٧]، وشركة الجوت المصرية[٧٨]، شركة مصر للحرير الصناعى[٧٩]، شركة المنتجات المعدنية[٨٠]، شركة مصر للنقل والمقاولات[٨١]، شركة الإنشاءات والقوى الكهربائية[٨٢].

ومع توالى الاعوام أصبح محمد ياسين من افضل رجال الأعمال فى مصر، وطلقت عليه الصحافة لقب ملك الزجاج فى مصر، ونتيجة تلك الخبرات المتراكمة أصبح ياسين رئيس الغرفة التجارية فى مصر عام ١٩٥٤ [٨٣]، وساهم فى تدعيم النواحى الإجتماعية فى مصر سواء من خلال التبرعات فى فترات الأزمات والحروب مثل الوقوف فى مواجهه جشع واستغلال التجار لظروف حرب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، وناهيك عن تدعيم الشباب من أجل النهوض بأفكاهم المستنيرة[٨٤].

وبعد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ تعايش محمد ياسين مع الوضع السياسى الجديد بسلام مبين[٨٥]، ولكن تم تأميم مصانع محمد سيد ياسين في عام ١٩٦١ ضمن قرارات التأميم التي صدرت في يوليو من هذا العام[٨٦]، وتحول مصنع ياسين إلى مصنع قطاع عام تحت مسمي شركة النصر للزجاج والبللور[٨٧]، وللأسف ضاع ختم ياسين الشهير الموجود أسفل الأكواب، وانتهى الجزء اليدوى الفني في الصنعة، وصار ميكانيكياً [٨٨]، وكان التأميم قاسياً علي الرجل العظيم، وللأسف عندما يهان الكريم وهو لا يستطيع أن يحرك ساكناً، وانكسر ملك الزجاج فى مصر، وبدأ يشكوا حزنه إلى الله، فبحسبة بسيطة لم يُعد المصنع يدر عليه إلا جنيهات قليلة حيث تم تعويضه بسندات لا تزيد قيمتها عن مبلغ قدره ١٥ ألف جنيه، ولا يتجاوز عائدها الشهري عن مبلغ قدره ٣٠ جنيها كان يصرفها على علاجه[٨٩]، مما جعل محمد سيد ياسين وأسرته في موقف لا يحسدون عليه خاصة أنه قد استثمر كل ممتلكاته في مصنعه[٩٠]، ولم يكن يملك من حطام الدنيا أي شيء آخر.

توفى بعد التأميم بعشر سنوات فى ٩يناير عام ١٩٧١، وكان يمثل نموذجاً فريداً لرجل الأعمال الوطني المصري الذي بني مجدا اقتصاديا كبيرا سرعان ما تهاوي بعد رحيل الرجل عن مصنعه الذي كان منارة صناعية لا مثيل لها حتى، وهكذا عاش محمد ياسين باحثاً عن الذات فى الحياة، ولكن غادر الحياة فى هدوء تام[٩١].

والجدير بالذكر أن هذا المصنع العريق قد أصبح في التسعينيات من القرن العشرين الماضي مطمعا للمستثمرين، وتم عرضه للبيع ضمن برنامج الخصخصة عام ٢٠٠٦ مما أدى إلي غلقه لعدة أعوام فى طي النسيان، وبعد قيام ثورة ٢٥ يناير عام ٢٠١١ قام عمال المصنع الباقون بعد خروج الكثير منهم إلي المعاش المبكر والتصفية بالمطالبة بعودة نشاط أول وأكبر وأشهر مصنع للزجاج في الشرق الأوسط، وبالفعل عادت الحياة للآلات، وارْتَدَى العمال القفازات مرة آخرى خلال عام ٢٠١٥، وليعود المصنع العريق إلي الإنتاج مرة آخرى[٩٢].

الهوامش:

[1] سناء مصطفى : محمد ياسين ملك الزجاج، الوفد ، الخميس ٢ مايو ١٩٩١ ،صـ٥

[2] سكينة السادات: أنا كما لايعرفنى الناس ، المصور ، ٦ مارس ١٩٥٩،صـ٧

[3] عبد المنعم عبد العظيم : الصعيدى العنيد محمد ياسين ، اليوم السابع ، ٢٥ ديسمبر ٢٠١٢ ،صـ٣

[4] مايسة الشلكاوى: ملك الزجاج ، الاهرام الاقتصادى ، ٢٠ يناير ٢٠١٥،صـ٧

[5] المصور : بدات من الصفر ، ١٩ اكتوبر ١٩٥٩،صـ٦

[6] ياسر ثابت: قصة الثروة فى مصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،٢٠١٣،صـ٢٦٣.

[7] مجلة المصور: الجمعة ٦مارس ١٩٥٩ ، مرجع سابق ،صـ٧.

[8] صلاح هلال : مع اصحاب الملايين ، الاخبار، ١٧ اغسطس ١٩٥٨ ،صـ٥.

[9] عصمت الملا: خمس دقائق مع ابو رجيلة ، الاخبار، ٢٠ يناير ١٩٦٠ ،صـ٤.

[10] Mervat Ayoub:How to be a millionaire,watani international,١٥ Dec٢٠١١,p٥

[11] محمد ياسين: فى عباد الله ، الجيل الجديد ، ١ نوفمبر ١٩٥٨ ،صـ٣

[12] احمد بهجت : محمد ياسين ، الاهرام ، ٢٣ يونيو ٢٠٠٩،،صـ٧.

[13] مجلة المصور : الاثنين ١٩ اكتوبر ١٩٥٩ ، مرجع سابق،صـ٦.

[14] Khalid Ikram:The egyption Economy Describes developments in egyption economy and exam_ines the dynameics of economic policymaking during

١٩٥٢_٢٠٠٠,Routledge,New york,٢٠٠٦,p١٠

[١٥] جريدة الاخبار: محمد سيد ياسين ، ١٤ يناير ١٩٥٣، صـ٤.

[١٦] عبد العزيز تامر: محمد ياسين قصة كفاح ، المصور، ٦ ديسمبر ١٩٥٧، ،صـ٤٣

[١٧] احمد مكاوى: محمد ياسين ، المساء ، ٢ديسمبر ١٩٥٩، صـ٦.

[١٨] – F. o. ٣٧١-٢٢٠٠٤ .foreign personalities, ١٩٥١

[١٩] على امين: كفاح رجال الاعمال محمد سيد ياسين ، اخبار اليوم ، ١٩ اكتوبر ١٩٥٧،، صـ٣.

[٢٠] جريدة المساء: مرجع سابق،صـ٦.

[٢١] فيليب جلاب: محمد ياسين راسمالى محترم ، روز اليوسف ، ١٦ مارس ١٩٨٧،صـ١٠.

[٢٢] أثر جولد شميث (الابن) : قاموس تراجم مصر الحديثة ، ترجمة عبد الوهاب بكر ، دار الكتب ، ٢٠٠٣، ً.٤٦٩.

٢٣ لمعي المطيعي : موسوعة ١٠٠٠شخصية مصرية , الدار العربية للكتاب ،٢٠٠٦ ، القاهرة ، جـ١ ، صـ٤٩٧

[٢٤] Issawi Charls: egyption an economic and social an alysis, London,١٩٤٧,pp٤٣. .

[٢٥] F.o٣٧١_٢٢٠٠٤, egyption personalities,٣٠ may ١٩٥١,pp٣

[٢٦] ايمان العادلى: كيف دخل الاتوبيس مصر، مجلة الخبر ، ٨ سبتمبر ٢٠١٨،صـ٨.

[٢٧] احمد بهجت : صندوق الدنيا الاهرام بين هؤلاء ، الاهرام ، ٧ ابريل ١٩٨٤،صـ٤

[٢٨] محمود متولى : الاصول التاريخية للراسمالية المصرية وتطورها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤،صـ٨٩.

[٢٩] الجمهورية : محمد ياسين ،١٤ ابريل ١٩٨٤،صـ٧

[٣٠] ثيودر روزستين : تاريخ مصر قبل الاحتلال البريطانى وبعده ، ترجمة على احمد شكرى ، مكتبة الهلال ، القاهرة ،١٩٢٧،صـ٨٩.

[٣١] الاهرام الاقتصادى: عميد صناعة الزجاج يتحدث، ١ يونيو ١٩٥٩،صـ٢٠

[٣٢] محمد عبد الغنى علام: صـ١٢٣.

[٣٣] عبد العزيز تامر: مرجع سابق،صـ٤٣.

[٣٤] الاهرام: محمد ياسين يتحدث عن اول مشروع، المصور، ٥يونيو ١٩٥٩،صـ٤٥.

[٣٥] صلاح هلال: مرجع سابق،صـ٥.

[٣٦] سكينةالسادات: مرجع سابق،صـ٧.

[٣٧] محمود عبد الشكور: حكاية رجل الزجاج ،مجلة اكتوبر،٣١ديسمبر٢٠٠٠،ص٤١

[٣٨] احمد بهجت: بين النجاح والفشل،الأهرام،١٨اغسطس٢٠٠٩،ص٩

[٣٩] مصطفى بيومى: محمد سيد ياسين المحترم ، وزارة الاستثمار، القاهرة ، ٢٠١٠،صـ٣٤.

[٤٠] احمد بهجت: المرجع السابق،صـ٩.

[٤١] محمد عبد الغنى علام: المرجع السابق،صـ١٣٠.

[٤٢] محمود عبد الشكور: المرجع السابق،صـ٤٢

[٤٣] مصطفى بيومى: المرجع السابق،صـ٥٥.

[٤٤] اليوم السابع: محمد ياسين وصناعة الزجاج ، ١٣ يوليو ٢٠٠٥،صـ٦.

[٤٥] محمد عبد الغني علام : المرجع سابق, صـ١٢٦.

[٤٦] Robert vatalis: the role of abboud pasha in the egyption politcan economy , middel east stud , ٢٢ junuary١٩٩٠ , in united state of america

[٤٧] محمد مبروك: البنك الاهلى ودوره فى الاقتصاد المصرى ١٨٩٨_١٩٦٠، دار الكتب المصرية ، القاهرة ،٢٠١٣، صـ١٣٥.

[٤٨] فتحى رضوان : طلعت حرب بحث فى العظمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،٢٠١٢،صـ١١٣.

[٤٩] إيريك دافيز : طلعت حرب وتحدي الاستعمار ودور بنك مصر في التصنيع ١٩٢٠-١٩٤١، ترجمة هشام سليمان عبد الغفار ، مكتبة الشروق, القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ،ط١ ، صـ١٧٤

[٥٠] على محمد سالم: دعم بنك مصر بالقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤١، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢،صـ٦٣.

[٥١] ليلى الراعى: طلعت حرب رجل غير وجه مصر، دار البلسم، القاهرة،٢٠١٤،صـ٧٥.

[٥٢] السيرة الذاتية لعبود باشا،ذاكرة مصر المعاصرة،مكتبة الإسكندرية،الأرشيف الرقمي باللغة العربي ٢٠٠٩-٠٤-١٧.

[٥٣] صلاح هلال: المرجع السابق،صـ٥.

[٥٤] عمر طاهر : صنايعيه مصر،دار الكرمة، القاهرة،٢٠١٧،صـ٤٣.

[٥٥] عصمت الملا:خمس دقائق مع محمد ياسين، الاخبار،٢٠ يناير ١٩٦٠،صـ٤.

[٥٦] أسامه بيومى: حكاية ملك الزجاج ، اخبار اليوم ، ٥ ديسمبر٢٠١٧،صـ٣.

[٥٧] الاهرام الاقتصادى : المرجع السابق،صـ٣٠

[٥٨] الاهرام الاقتصادى: صناعة عمرها ٤٠ عام ، ١ يونيو ١٩٥٩،صـ٢٦

[٥٩] Mervat Ayoub:How to be a millionaire,watani international,١٥ Dec٢٠١١,p٥

[٦٠] مصطفى بيومى : المرجع السابق ، صـ١١.

[٦١] الاخبار : المرجع السابق ، صـ٤.

[٦٢] محمد الملاخ : مع المليونير العائد ، الاهرام ، ٢٧ فبراير ١٩٥٩ ، صـ٦.

[٦٣] ياسر ثابت : المرجع السابق ، صـ ٢٦٥.

[٦٤] الاخبار : محمد ياسين والصناعة المصرية ،٩ يوليو ١٩٥٩، صـ١.

[٦٥] اخر ساعة : صناعة الزجاج فى مصر ،١٣ فبراير ١٩٥٧،صـ١

[٦٦] اخر ساعة : محمد ياسين يقدم مشروعاً للحكومة ، ١٢ ديسمبر ١٩٥٦ ، صـ٢.

[٦٧] روز اليوسف : زوجة محمد ياسين ، ٢٣ يونية ١٩٥٠ ،صـ٢٧.

[٦٨] احمد بهجت : محمد ياسين ، الاهرام ، ١١ سبتمبر ٢٠٠٩ ، صـ٥

[٦٩] عبد العزيز تامر : ملك الزجاج ، المصور ، ٦ ديسمبر ١٩٥٧، صـ٤٣

[٧٠] اخر ساعة: محمد ياسين يتحدث عن رحلته،٢٥ يونو ١٩٥٧،صـ٥.

[٧١] مصلحة الشركات , ١٨٢-٧٥-ج٢, شركة الاهلية للزجاج , صـ١٤

[٧٢] مصلحة الشركات , ١٦٢-٥٥-٥ج٢, الشركة العامة للخزف والصينى , صـ١٣

٧٣ مصلحة الشركات , ١٧٠-٣٤-٤ج٢, شركة طنطا لتعبئة الزجاجات , صـ١٦

٧٤ مصلحة الشركات , ١٧١-٥٦-١ج٢, شركة اسيوط لتعبئة الزاجات , صـ١٨

٧٥ مصلحة الشركات , ١٥٩-٤٩-٤ج٢, شركة الاعمال والمباحث الافريقة , صـ٤٤

٧٦ مصلحة الشركات , ١٤٥-٦٤-٤ج٢, شركة بنك القاهرة , صـ٤٩

٧٧ مصلحة الشركات , ١٢١-٥٨-٥ج٢, شركة القاهرة للتأمين , صـ٢٨

٧٨ مصلحة الشركات , ١٢٣-٧٧-٣ج٢, شركة الجوت المصرية , صـ٢٥

٧٩ مصلحة الشركات , ١٧٢-٢٣-٢ج٢, شركة مصر للحرير الصناعى , صـ١٢

٨٠ مصلحة الشركات , ١٦٢-٥٦-٤ج٢, شركة المنتجات المعدنية , صـ١١

٨١ مصلحة الشركات , ١٩٢-٢٣-٦ج٢, شركة مصر للنقل والمقاولات , صـ٩

٨٢ مصلحة الشركات , ١٣٢-٢٥-٦ج٢, شركة الانشات والقوى الكهربائية , صـ٥

[٨٣] مايسة السلكاوى: المرجع السابق،صـ٢١٩.

[٨٤]نوال محمد قاسم :تطور الصناعة المصرية خلال الفترة من ١٨٠٠_١٩٥٢ ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، رسالة دكتوراة ، القاهرة ، ١٩٨٦ ،صـ٣٦٠.

[٨٥] مصطفى بيومى: المرجع السابق، صـ٢٨

[٨٦] نوال محمد قاسم :تطور الصناعة المصرية خلال الفترة من ١٨٠٠_١٩٥٢ ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، رسالة دكتوراة ، القاهرة ، ١٩٨٦ ،صـ٣٦٠

[٨٧] مصطفى بيومى: المرجع السابق،صـ٤٥.

[٨٨] الاخبار: مصانع ياسين للزجاج،٢٣ يناير ١٩٩٥،صـ٤.

[٨٩] الاهرام: زمان كان يوجد زجاج فى مصر،٢٢ فبراير ٢٠٠٠،صـ٤.

[٩٠] المساء: ملك الزجاج،١ مارس ٢٠٠٥،صـ٥.

[٩١] الاخبار : وفاة محمد ياسين ، ١٠ يناير ١٩٧١ ،صـ١

[٩٢] مصطفى بيومى: المرجع السابق،صـ٦٦.